

ف ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذىٌ وَإِنْ يُقْتَلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَذَبَ ثُمَّ لَا يُضَرُّوكُمْ﴾ (١)  
 لا تخاطب إلا المعتصمين بحبل الله المطبقين شرعة الله، المجاهدين في  
 سبيل الله، المضحين في الحفاظ على حرمة الله، كما سبقت هذه  
 الشروط في ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾.

فليس صالح الدين بنفسه مما يؤيس الكافرين تمام الإياس وزوال  
 الإبلاس من ديننا، إنما هو صالح تطبيقه بالقيادات الصالحة الروحية  
 والزمنية، وكما في حديث الصادقين عليهم السلام تفسيراً للآية، أي أكملت لكم  
 دينكم بإقامة حافظه...» (٢).

فالحافظ القيادي للدين دوره كالحافظ الأصلي لمادة الدين، فبكمال  
 القيادة الروحية والزمنية التطبيقية للدين ييأس الذين كفروا من زواله أو  
 إزالته، وبضعفها كضعفه نفسه يأمل الذين كفروا زواله أو إزالته من الدور  
 الجماعي.

و ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هو يوم قرار القيادة المعصومة، استمرارية  
 للقيادة العليا الرسولية التي تحملها الرسالة، معصومين وهم الاثني عشر،  
 ومن يتلو تلوهم كالعلماء الربانيين زمن الغيبة الكبرى لآخرهم المنتظر  
 المأمول.

إذاً ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يزيلوا هذا الدين ما دامت قواعده سليمة  
 ﴿وَأَحْسُونِ﴾ أن تتخلفوا عن قيادته الروحية والزمنية العليا تأسيساً لها واتباعاً  
 إياها وتحقيقاً للدين بكل أبعاده، فإبعاده لكل العراقيل الكافرة الشاغرة.

لذلك لم ييأس الذين كفروا من ديننا في أي يوم من أيام هذه الرسالة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١١.

(٢) الخصائص عن الصادقين عليهم السلام.

السامية يأساً شاملاً إلا يوم إذاعة الاستمرارية لها بالخلافة المعصومة العاصمة لها، مهما اغتصبت لردح بعيد من الزمن، ولكن بنية الرسالة المستمرة على مر الزمن بذلك القرار الحاسم، إنها تؤيس الذين كفروا من زوالها أو إزالتها.

وعلى الذين آمنوا طول الزمن الرسالي تقبل القيادة المعصومة، ثم في زمن غياب العصمة انتخاب النخبة العليا من العلماء الربانيين ليقودوا الأمة الإسلامية سالمة سليمة.

ذلك، فالإثم في تأخر المسلمين عن تأسيس دولتهم الإسلامية الموحدة السامية إنما هو على المتجانفين لتركه، المتكاسلين عن محاولته، المستسلمين دوماً للأمر الواقع الشرير.

كما وأن قسماً منهم خيل إليهم أن القيام لتأسيس دولة الإسلام وطرد الظلم إنما هو على عاتق صاحب الأمر عليه السلام وأما نحن مدى غيابه عليه السلام فعلينا أن نتقاعد مكتوفي الأيدي، رغم الأوامر المؤكدة المشددة القرآنية المشدودة لإقامة الدين، وقصم شوكة المعتدين المغتصبين، وبسط المعروف وإزالة المنكر قدر المستطاع، مهما كان تأسيس الدولة العالمية الإسلامية في أصلها على عاتق صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه.

وَإِذَا ﴿ الْيَوْمَ يَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ عَلَى دِينِكُمْ وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ، بَلِ ﴿ وَأَخْشَوْنَ ﴾ فِي التَّخْلُفِ عَنْ إِقَامَةِ مَا يُؤْيِسُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاسْتَضَعَا لِلدِّينِينَ وَاسْتَخْفَا بِاللِّدِينِ وَمَوَاصِلَهُ بِكُلِّ الْمَحَاوَلَاتِ فِي سَحْقِهِمْ وَمَحْقِهِمْ، وَتَرَى ﴿ وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ يَعْنِي فَقَطْ هَذِهِ الشَّرْعَةُ بَطْقُوسَهَا؟ وَكثيرون هؤلاء الذين يطبقون طقوسها وهم غير مرضيين لله! ..

﴿ الْإِسْلَامَ ﴾ هو إسلام الوجه لله، ومنه الإسلام لما حصل يوم إكمال

الدين وإتمام النعمة وهو تأمير الأمير بإمرة المؤمنين ﷺ وتقبل استمرارها إلى يوم الدين.

ف«ديناً» تعني طاعة طليقة لله، والإسلام السليم هو الطاعة المرضية لله لا سواه، فالإسلام الخاوي عن القيادة المستمرة السليمة إسلام غير مرضي، وقد يصبح كالكفر أو أنحس منه، فمثلث إكمال الدين وإتمام النعمة والرضى عن الإسلام بعد ﴿يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يشكّل القواعد الأربع لعز الإسلام وسيادته، فليس اليأس إلا لهذه الثلاث.

ولأن آيتي التبليغ والإكمال مرتبطنان مع بعض حيث تحمّلان أمر الإمرة الإسلامية بعد الرسول ﷺ، إذاً فروايات الغدير البالغة إلى مئات تعتبر من روايات مؤيدة لنزول آية الإكمال بشأن الغدير<sup>(١)</sup>.

ذلك، وليأس الذين كفروا من دينكم مراحل آخرها بتأم اليأس وطامه الجمع بين إكمال الدين وإتمام النعمة بمثلث عمارة الإسلام العامرة:

١ - كمال قوانينه الصالحة الانطباق في كل عصر ومصر.

٢ - كمال الزعامة الدينية روحية وزمنية.

٣ - وكمال المؤمنين به ائتماماً بأئمة الإسلام، وتطبيقاً عميقاً للإسلام، وكل ذلك في الوسط القرآني العظيم، فإنه المحور الأصيل لهذه الزوايا الثلاث.

ذلك اليأس يحلّق على الذين كفروا في الطول التاريخي والعرض الجغرافي، ولذلك يحاولون في هدم مثلثه، مركزين على تنحية القرآن عن الوسط الإسلامي.

(١) رواة الغدير من الصحابة حسب ما في الغدير مائة وعشرة، شخصاً، ومن التابعين أربع وثمانون، وطبقات الرواة العلماء (٣٦٠) شخصاً في القرون الإسلامية، والمؤلفون (٢٦) شخصاً والمنشآت به والاحتجاجات اثنان وعشرون (الغدير للعلامة الأميني ١: ١٤ - ٢١٣).

ومهما يكن من شيء فقد تكفي بالآمل إمرة صاحب الأمر لتحقيق ذلك اليأس بأعماقه .

وترى الاضطرار في مخمصة الذي يسمح بارتكاب محرّم أكلاً أم إيكالاً، أو محرّم في سياسة الشرعة الإلهية، ما هو حده ومدّه؟ .

«مخمصة» وهي حالة الضرورة محدّدة هنا بـ ﴿عَيَّرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ فالمقصر في ذلك الاضطرار هو متجانف لإثم، فأكل المحرم كالسكوت أمام السلطة الجائرة محرّم عليه حالة الاضطرار، رغم وجوبه عليه خوف الموت حفاظاً على نفسه .

وتجانف الإثم هو التجاوب معه مهما كان بتقصير في حصول مقدماته ومهيئاته فإنه التمايل المتخلف كما الحنف هو الميل المتألف كمن يسافر دون ضرورة إلى بلدة يضطر فيها إلى أكل الحرام أو فعل الحرام، فإن سفره هذا تجانف لإثم، مهما لم يتعمد أكل الحرام حين اضطراره إلا اضطراراً .

فهنا ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ليست لتشمل إلا المضطر غير المتجانف لإثم، وقد جاء في أخرى ﴿... عَيَّرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> وفي ثالثة ورابعة: ﴿فَأَيُّكَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> - ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ﴾<sup>(٣)</sup> - ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

إذاً فثالث «تجانف لإثم - عاد - باغ» تحرّم على المضطر حتى حين تهدر نفسه، مهما كان واجباً في هدرها حفاظاً على نفسه، وهنا ﴿عَيَّرَ مُتَجَانِفٍ﴾ دون ﴿عَيَّرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ حيث الموضوع أعم مما في هذه الثلاث الأخرى وأهم، إذ يجمع إلى مخمصة الجوع مخمصة الروح حرجاً وتضييقاً .

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٣ .

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٥ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥ .

ولا يختص الاضطرار هنا بخوف التلف إلا بالنسبة للمتجانف العادي الباغي، فقد يجوز لغيرهم أكل هذه المحرمات قدر الضرورة للحفاظ على قوة حياة مهما لا يخاف الموت، حيث الاضطرار لا يختص باضطرار لأصل الحياة، بل والاضطرار الحيوي يسمح ويفرض اقتراف الحرام للحفاظ على النفس مهما حرم من جهة التقصير في حصول الاضطرار.

وقد يعني الاضطرار بصورة عامة تكلف الضرر نفسياً أو صحياً أو مالياً أو عرضياً أو دينياً، في نفسه أمّن هو كنفسه من ولده وأهليه، ما صدق الاضطرار عليه عرفاً.

ففي حالة اضطرار غير المقصر ولا باغ ولا عاد ولا متجانف لإثم يجوز تناول المحرم أياً كان قدر الضرورة، اللهم إلا أن تكون حرمة المحرم أغلظ من حرمة الاضطرار، ففي اضطرار الموت يحل كل حرام اللهم إلا ما هو أشد محظوراً منه، ثم في سائر الاضطرار لا بدّ من النظر إلى طرفيه، ولا يختص الاضطرار المحلّل للحرام بالحفاظ على النفس بل والحفاظ على سائر النواميس الخمسة لنفسه أمّن هو محسوب عليه.

ثم المضطر باختياره، أو الباغي والعادي أو المتجانف لإثم، هؤلاء هم عصاة في اقتراف المحرم المضطر فيه مهما كان واجباً، فهو محظور تقصيراً، ومحبور حفاظاً على الواجب حفظه من نفس وصحة أمّاهية.

والغفر الطليق يختص بغير المقصر، وأما المقصر على دركاته فلا يغفر له حيث يعذب بتقصيره، مهما عذب أيضاً إذا لم يتناول المحرم حالة اضطراره، وليس مورد الاضطرار بالاختيار وما أشبه من موارد ترجيح الأهم على المهم سلباً لحكم المهم، أو تساوي الحكمين فتساقطهما ثم الحكم بإباحة الطرفين، فإن حكم المهم يزول عند الاضطرار العاذر وفي سواه يبقى

الحكم على حاله كالمضطر الباغي أو العادي أو المتجانف لإثم بنص الاستثناء الخاص، والعنوان الثانوي إنما يزيل حكم العنوان الأولى في حالة العذر دون تقصير.

فهنا الضابطة «الضرورات تبيح المحظورات» تخصص بالضرورات غير المختارة، أم «تبيح» إباحة مطلقة في غير المقصرة أصلاً وفرعاً، وإباحة جانبية في المقصرة بمعنى بقاء حكم الوجوب والحرمة معاً.

فالقول إن واجب الحفاظ على النفس ومحرم اقتراف المحرم حالة الاضطرار المقصر هو الجمع بين الواجب والمحرم وأنه مستحيل أم يرجح أرجح الأمرين.

إنه مردود بأن الوجوب والحرمة متواردان على وجهين، ثم لا تزول الحرمة المعارضة بأهم منها إلا إذا كانت غير مقصرة، فالمضطر الباغي أو العادي أو المتجانف لإثم أو الذي اضطر باختياره معاقب على أي الحالين، فيعاقب على اقتراف الحرام حفاظاً على نفسه، كما يعاقب على هدر نفسه تركاً لذلك المحرم لمكان تقصيره في ذلك التضيق والحرَجُ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(١)</sup> تختص بالجعل التشريعي وأما الذي يحرَجُ نفسه بنفسه فهو الذي جعل على نفسه الحرَجُ تخلفاً عن شرعة الله.

### دور إكمال الدين وإتمام النعمة بصورة عامة:

هنا إكمال الدين وليس إكمال الشرعة من الدين، فالقصد من «دينكم» هو الدين كله حيث ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

فكل شرعة من الدين طرف منه يختص بزمن خاص، فيها سؤال المكلفين به، ولكن هذه الشرعة الأخيرة تحمل كل ما تحمله الشرائع الأربع وزيادة هي سر الخلود إلى يوم الدين، فلا تختص ببيئة خاصة وزمن خاص وناس خصوص كسائر الشرائع المؤقتة.

بل إن هذه الرسالة الأخيرة تخاطب الإنسان من وراء كل الظروف والبيئات، وتتناول حياة المكلفين إلى يوم الدين من جميع أطرافها، محلقة على كل سؤال دون إبقاء، واضحة لها المبادئ الكلية والضوابط الشاملة فيما يتطور فيها ويتحوّر بتغير الزمان والمكان، وكذلك الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لا يتطور ولا يتحوّر بتغير الزمان والمكان وتحوّرها.

فقد أعلن «يوم الغدير» بواسطة ذلك البشير النذير إكمال الدين بكل أصوله وفروعه، وسرّ استمراره، ومستسر قوته وقراره.

إذا فالمخاطبون بـ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ...﴾ هم كل المكلفين في الطول التاريخي والعرض الجغرافي منذ بزوغ الإسلام إلى يوم الدين.

وهكذا ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ في إكمال دينكم، النعمة الخاصة الربانية الرحيمية التي قضيتها إرسال الرسل وإنزال الكتب، فقد أتممت تلك النعمة الناعمة القائمة بأسرها، فلم تبق عندي نعمة بالإمكان إنزالها على المكلفين إلا وقد أنزلتها في هذه الشرعة من الدين التي هي الدين كله بكامله وتمامه.

إذاً فماذا بعد إكمال الدين فيما يحاوله مختلقو شرعة بعده إلا انتقاص، وماذا بعد إتمام النعمة إلا نقمة وإفلاس.

أجل، ولكنه لا يدرك حقيقة نعمة الله في هذا الدين ولا يقدر قدرها إلا من يعرف الجاهلية ويدوق وبالها وويلاتها، ثم ومن يعرف شرائع الدين قبله بتحرفاتها عن جهات أشراعها، وأنها في الوقت نفسه وقتية مؤقتة، وكأنها أو أنها تقدمات وتعييدات طريق لهذه الشرعة الأخيرة.

فلقد أنشأ الإسلام من البشرية أمة تطل من القمة السامقة على كافة المكلفين كلهم في السفح، في كل جانب من جوانب الحياة. ذلك الدين المتين بكل أعبائه وقضاياه هو الذي رضيهِ الله لنا ديناً، مما يحرضنا على الاستقامة قدر جهدنا لإقامته، وإلا فما أنكد وما أحقق من يهمل أو يرفض ما رضيهِ الله له ليختار لنفسه غير ما اختاره الله، أو يغير معالمه الأصيلة إلى طقوس وأذكار خاوية، وتلك إذا جرعة نكدة ليست لتذهب دون جزاء.

ذلك، و«من» في «من دينكم» تعني فقط التعديدية إذ لو عنت معها معنى آخر كالتبعيض فقد عنت «يئس الذين كفروا من بعض دينكم» فهو «من من دينكم».

و«دينكم» له مرحلتان، أصله، وكونه معكم، واليأس يشملهما، فقد يئسوا من زواله أو إزالته من أصله أو عنكم حيث قرر فيكم استمراريته قيادة وقانوناً مضموناً في عصمتها.





## فهرس الجزء السابع

الصفحة

الموضوع

### تتمة سورة النساء

٧	.....	سورة النساء، الآيات: ٤٩ - ٥٧
٢٤	.....	سورة النساء، الآيات: ٥٨ - ٧٠
٦٢	.....	سورة النساء، الآيات: ٧١ - ٨١
٩٠	.....	سورة النساء، الآيات: ٨٢ - ٩١
١٠٠	.....	كلام فذّ حول الاستنباط
١٢٧	.....	سورة النساء، الآيات: ٩٢ - ١٠٠
١٧٧	.....	سورة النساء، الآيات: ١٠١ - ١٠٣
٢٠٣	.....	سورة النساء، الآيات: ١٠٤ - ١١٥
٢٢٨	.....	سورة النساء، الآيات: ١١٦ - ١٢٦
٢٤٧	.....	سورة النساء، الآيات: ١٢٧ - ١٣٤

- ٢٦١ ..... سورة النساء، الآيات: ١٣٥ - ١٤٧
- ٢٩٢ ..... سورة النساء، الآيات: ١٤٨ - ١٥٩
- ٣١١ ..... ١ - العهدان يتجاوبان في نكران الصلب
- ٣١٤ ..... تناقض النقل الإنجيلي في رواية الصَّلْبِ
- ٣١٥ ..... شبهات أخرى مسيحية حول الصلب
- ٣١٥ ..... يهوذا شبيه المسيح!
- ٣١٦ ..... برنابا والصليب
- ٣١٨ ..... الصلب والفداء اليسوعي
- ٣٢٨ ..... سورة النساء، الآيات: ١٦٠ - ١٧٠
- ٣٤١ ..... سورة النساء، الآيات: ١٧١ - ١٧٦

### سورة المائدة

#### مدنية وآياتها مائة وعشرون

- ٣٥٩ ..... سورة المائدة، الآيات: ١ - ٣
- ٣٧٦ ..... فروع حول الصيد
- ٣٩٨ ..... فروع حول الميتة
- ٤٠١ ..... فروع حول الدم
- ٤٠٧ ..... قول فصل حول التذكية
- ٤٣٦ ..... دور إكمال الدين وإتمام النعمة بصورة عامة